للثورة الفلسطينية، ضد العدو الاسرائيلي، ولن تكون الاخيرة، فلماذا احتلت نتائجها هذه المكانة، التي يمكن وصفها بأنها نتائج كيفية، على طريق الانتصار؟

الاسباب عديدة، بعضها دولي وبعضها عربي، وبعضها اسرائيلي وبعضها فلسطيني. وكلها متداخلة ومتفاعلة؛ بل هي تزداد تداخلاً وتفاعلاً كلما ازداد اقتراب «منطقة الشرق الاوسط» من مركز الصراع الدولي بين القوتين العظميين، وكلما ازدادت حدة التوترات الداخلية في هذه المنطقة.

فالقيادة الاميركية التي تسعى لإقناع الدول العربية «باجماع في الرأي على ان الخطر السوفياتي هو الاول»، تصطدم بواقع ان هذه الدول لا تستطيع قبول هذه الفكرة، علناً على الاقل، والعدو لا يزال يحتل أراضي عربية، ومشكلة القدس بلا حل، وهو لا يبدي اية بادرة على احتمال انسحابه. لذا تحاول القيادة الاميركية «تجميد» الاوضاع على الاقل، اي «احاطتها» «وتجزئتها» كما حاول فيليب حبيب مع مشكلة الصواريخ السورية في البقاع اللبناني. وبذلك انخفض سقف ومجال الحركة الاسرائيلية، خصوصاً بعد عقد الاتفاقية السورية ــ السوفياتية؛ بحيث لم يعد امام مناحيم بيغن الا ان يوجه ضرباته لمن ظنه خصماً ضعيفاً، وهو منظمة التحرير الفلسطينية.

ومن ناحية اخرى فإن الدول العربية التي رفضت الانضمام «لعملية كامب ديفيد» ثم لم تفعل شيئاً بديلاً، لم يكن في مقدورها ان تقف بلا حركة وهي ترى «الطرف الفلسطيني» في النزاع يُصفّى بحيث لا تبقى قضية. ودوافعها في هذه الحالة ليست اخلاقية فحسب، اي ليست من دوافع الاخوة القومية فقط، وانما هي ايضاً دوافع مصلحية. فليس من مصلحة اسرة الدول العربية ان تُصفّى مؤسسات قضية فلسطين، لتبقى القضية تتفاعل بدون اطر مؤسسية يمكن التفاهم معها على الاقل، كما انه ليس من مصلحتها، حتى ضمن تصورها «امكان حصولها على مكانة اكبر في الاستراتيجية الأميركية»، ان تسمح للطرف الاسرائيلي بتحقيق انتصار كبير كهذا، لأن ذلك يعيد العجلة إلى الوراء لتصبح «اسرائيل» الرصيد الاستراتيجي الأميركي الوحيد في المنطقة.

فلو اضفنا الى ذلك، الروابط القائمة بين عدد من الدول العربية وبين الاتحاد السوفياتي، وما يمكن ان يؤدي اليه عمل عسكري اسرائيلي كبير، يهدد بتصفية المؤسسات الفلسطينية، الى انخراط هذه الدول في الحرب، ومن ثم انتشارها الى الحد الذي «يورط» الاتحاد السوفياتي فيها، لوجدنا ان هناك مصلحة مشتركة «بالتقاطع» بين القوتين العظميين لضمان عدم اتساع رقعة القتال خارج ساحة «فلسطين ــ 'اسرائيل'»، وهو قيد آخر على حركة الطرف الاسرائيلي.

فالجديد اذاً، هو ان حدود القتال تحددت بساحة «فلسطين ــ 'اسرائيل'» فقط، دون اشتراك اطراف اخرى اشتراكاً مباشراً. فحتى الطرف اللبناني الرسمي، وكذلك الشعبي، المتحالف مع الطرف الفلسطيني، لم يشترك «مؤسسياً» في هذا القتال؛ اذ قد تجنب العدو الاسرائيلي التقدم براً والاحتلال، ومن ثم بقيت عملياته في حدود ما اصطلح عليه دولياً